الأنساق الثقافية في يتيمة الدهر للثعالبي

الاستاذ المساعد الدكتور
عماد جغيم عويد
جامعة ميسان - كلية التربية

Cultural ranges in Yateemat ul-Dahr AL Thaalibi

Asst.prof.Dr.
Emad Jghem Awead
College of Education . University of Misan

الخلاصة:

يُحاول البحث مُقاربة كتاب (يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر) للثعالبي المتوفى (٤٢٩ه) ؛ للوقوف على الأنساق الثقافية المُحركة للمؤلف في اختياراته الشعرية ، وتعليقاته النقدية ، التي تمثل الإشارات السيميائية لحضور الأنساق الثقافية ، وغيابها ، وبما أنَّ الثعالبي شأنه شأن أغلب المؤلفين في التراث العربي فقد وقع في أسر الأنساق الثقافية المُهيمنة التي حركت اختياراته ، ومارست دوراً مائزاً في خرق الاشتراطات المنهجية التي أسس لها في مقدمة اليتيمة ، لكننا لا نعدم الحيل الثقافية التي مارسها المؤلف ليخاتل المتن الثقافي ؛ لتحل الأنساق المُغايرة محل الأنساق الثقافية المُهيمنة ؛ لذا فكتاب اليتيمة يُعدُّ من الممارسات الكتابية النوعية التي شغلت الفضاء الثقافي العربي عبر التلقي والمحاكاة ؛ لاحتوائه على تجاذبات الكتابة داخل النسق وخارجه .

الكلمات المفتاحية : الثعالبي، الدهر ، الثقافة ، الفضاء، التداول، النسق ، المعاصرة

Abstract

The research tried to explain the approach of AL-Tha alibis book Yateemat ul-Dahr fi Mahassan Ahlu-Asr The orphan of world in advantage of the age people

That he was died at (429 A H) as he studies these book for illustrating the Cultural ranges which it is restricted the poetic choice of the author and his critical comments which considered as Semiotices signals as indicates the presence or absence of the rates.As the other authors ALThaalib do because he was al so capturing by dominant cultural yanges which changes his Ghoice and practice a prominent role to break the methodology requirements. who is establishing In the intrudtion of the book . but ,although he was used some of cutural deceive in the form of the text . so that he put the changeable ranges instead of cultural dominant rang , so the book of alThaalibi consider eel as an important quality writing which fill the Arabian cultural field within the receives and simulation because it has attractiveness writing inside and outside the range.

Keywords: foxy, age, culture, space, circulation, theme, contemporary

المقدمة

من الراكز في المشغل النقدي أنَّ مقاربة النصّ التراثي ، ورصد علاقاته ، وبنياته في زحام الخطابات الثقافية لا يخلوان من مجازفةٍ ، ووعورةٍ ، تكمنان في تصفح طبقات التاريخ السميكة ، الناتجة عن تراكمات النصوص ، وما علِق بها من قراءات متنوعةٍ ، زادت النص التراثي غموضاً ، والتباساً .

فمواجهة النص التراثي من دون التوسل بالقراءات المحايثة يبدو طريقاً وعر المسلك ؛ لصعوبة الفصل بين النص الأصل وما عَلِقَ به من فعل القراءات الكثيرة ، لكن ما يجعل هذه المسألة أقرب إلى التحقق ، الكشوفات النقدية المتمثلة بالمناهج النقدية الحديثة كمقاربة النسق الثقافي التي تساعد على فهم النص التراثي العربي وتفسيره في سياقاته التاريخية ، الأمر الذي يمهد الطريق للسالك للوصول إلى نتائج هي بمثابة الاقتراح القرائي للنص التراثي ، وبما أنَّ كتاب(يتيمة الدهر) يدخل ضمن منهج التراجم والاختيارات ، الذي يُعدُّ قراءةً لفضاء أدبي واسع ، فتسعى المقاربة إلى قراءة القراءة ؛ للوصول إلى تحرك المؤلف ضمن منجزه الأدبي تحت مسارين نسقيين هما : داخل النسق / وخارج النسق ، لذا توزعت مادة البحث في محورين : تمثل المحور الأول بالنسق المُفارِق ، والمحور الثاني: بالنسق المُهيمن متخذةً من كشوفات النقد الثقافي إطاراً نظرياً ، وستكون مقولة النسق الثقافي الآلية الإجرائية لمقاربة (اليتيمة) ، وبما أننا نؤمن بأنَّ ((الاختيار جزء من عقل الرجل)) بحسب الجاحظ ، فسنحاول مدّ الجسور إلى تاريخ أفكار المؤلف عبر تلمس تمظهرات الأفكار في كتب الثعالبي الأُخر – مع العلم أنَّ كتاب اليتيمة قد ألّفه الثعالبي في مرحلة متأخرة من حياته – لذا فإنَّ مابثه في كتبه المتفرقة يعدُّ ركيزةً فكريةً انبنى عليها مشروعه الثقافي ، وهاته التفصيلة من تفصيلات البحث المنهجية لا نعتمدها إلا إذا انغلق نص اليتيمة عن الفهم والتأويل ، ولاسيما عند إيراد

الثعالبي لنص شعري بشكل محايد – مع الإيمان بأنَّ الاختيار النصي يحمل بعدا نسقياً للمؤلف – دون التعليق ، أو الإشارة إلى ما يحويه النص من إشارات سيميائية تجعله علامة حضور أو غياب للنسق الثقافي ، وهو ما يمثل البياضات التي تركها الثعالبي في خطابه الثقافي المُتبنى ، وبهذا ترك الباب مفتوحاً لملء تلك الفراغات الثقافية بما يتناسب وتشكيل القارئ المعرفي المتكئ على الشيفرات النصيّة التي بثها الثعالبي في يتيمته .

ديباجة

الأنساق الثقافية

يُعدُّ(النسق)من أكثر المصطلحات النقدية التي تعرضت للنقلات الدلالية ، فدلالته عند اللسانيين تنحصر بالمفهوم اللغوي [١] لا غير ، على حين في الدراسات الثقافية أصبح مفهوم النسق يتضمن كل أبعاد النص ، ومكوناً أصيلاً في تلقي ، النصوص وتأويلها [٢] ، وتوسعت دائرة النسق الثقافي لتشمل النُظم الاجتماعية ، والدينية ، والثقافية ، المتفاعلة فيما بينها لتسيير إنتاج الخطابات الإبداعية والفكرية [٣] .

وتمثل الأنساق الثقافية مجموعة من ميكانزمات الضبط والتحكم في السلوك ؛ لتنظيم المظاهر الاجتماعية بما فيها المظاهر الثقافية والإبداعية [٤] ، فهي آلية من آليات الهيمنة والتحكم في السلوكيات العامة ، والممارسات الاجتماعية ، والعمليات النفسية [٥] ، وبما أنَّ ((الأنساق الثقافية قابلة للتطور ، شأنها شأن كل عناصر الحياة)) [٦] ،فهي عرضة للتناسل والتوالد عبر تمظهرات مختلفة ، فكل نسق ثقافي قد يتعرض للنسخ (بحسب المصطلح القرآني) ؛ لانبناء نسق ثقافيٍّ على حِطام الأنساق المنسوخة ❖، عبر بنية صراعية بين (الأنساق الظاهرة ، والمضمرة) ، التي تُشكل بعداً فكرياً لكل الخطابات الإنسانية .

وإذا آمنا بأنَّ النسق لا يتحرك على مستوى الإبداع فحسب ، بل إنَّ القراءة ، والاستقبال لهما أثر مهم وخطير في ترسيخ النسق [٧] ، أمكننا

محاكمة كتاب (اليتيمة) على وفق معطيات النقد الثقافي بوصفه مستقبلاً منتجاً للمتون الشعرية ، وقارئاً واعياً للخطاب الأدبي فتكون المقاربة أكثر نجاعة في تتبع مسار المؤلف في تكريس الأنساق ، أو الخروج عنها ، للخروج بأحكام أقرب لواقع المنجز في فضاء الثقافة العربية التي أنتجته .

اليتيمة والفضاء التداولي

حازت اليتيمة درجة كبيرة من التلقي ، في أثناء صدورها ، وبعدها ، ونجد المؤلف يشير إلى انتشار اليتيمة في الآفاق ، إذ يصرح بالمقدمة بقوله :((...فتواترت الأخبار وشهدت الآثار، بحرص أهل الفضل على غُدُره ، وعدّهم إياه من فرص العمر وغُرَره واهتزازهم لزهره ، وافتقارهم لفقره))[٨] ، وتعدُّ هذه المزية من أهم اشتراطات حضور الأنساق المضمرة [٩] ، حتى أننا نجد المؤلف عندما أراد أن يضيف ليتيمته أشياء وجدها بعد مضي السنون ، أضافها بملحق أسماه تتمة اليتيمة ، ولم يجرِ أي تعديلٍ على الأصل ؛ لانتشار المنجز بين الآفاق .

ويبدو أنَّ من سار على نهج يتيمة الدهر من المؤلفين قد تأثر بالتداول الثقافي للكتاب ، إذ نجد بعضهم يتلمس طريق أبي منصور الثعالبي حتى في بنية العنوان مثل كتاب (الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام الشنتريني (ت٥٤٢ه) ، فبنية العنوان لا تتعدى سوى تحوير بنية العنوان الشكلية ، أما مضمون الكتاب الثقافي فلا يتعدى التقليد الحرفي لنهج الثعالبي ، ومما لا شك فيه أنَّ الذيول التي جاءت لليتيمة مثل : دمية القصر، وعصرة أهل العصر للباخرزي (ت ٤٦٧ه) ، وخريدة القصر وجريدة أهل العصر للعماد الأصفهاني(ت ٥٩٧ه) [١٠] ، تمثلت منهجية الثعالبي في كسره للأنساق المهيمنة خاصة مع انتهاك نسق المعاصرة الذي طوّق أغلب الممارسات الكتابية ، فحرمنا من قراءة النصوص في سياقها الثقافي .

المحور الأول : النسق المُفارق (خارج النسق)

- النسق المُضاد / تغييب المتن

لا غرو أنَّ أبا منصور الثعالبي ينطلق في منجزه الكتابي من منطلقات معرفية ناضجة ، سخّرها لخدمة الكتابة الثقافية ، القائمة على المُعطيات الأصيلة البعيدة عن الاجترار ، والخواء الكتابي ، فإذا ما فتشنا نص اليتيمة القائم على الاختيارات ذات المقاصد أمكننا أنْ نقف على نسقٍ ثقافي مضاد للنسق الثقافي المُهيمن الذي يتجلى عبر المقولات السلطانية التي تبناها في كتابه ، فكل منجزه الكتابي كان تحت وصاية وتحريض من السلطة السياسية ، لكننا نجده يروي نصاً لأبي العباس أحمد بن جعفر البديعي ، وهو في ذم خدمة السلطان : (من الطويل)

ومَنْ خدمَ السلطان أكرَمَ نفسَهُ ولكنّه عمّا قليلٍ أهانَهَا
ومَنْ عَبَدَ النيرانَ لم ينتفعْ بها ولم يلقَ إلا حرَّها ودخانها [11]

فإيراده للنص يعدُّ بحق نسفاً للظاهر الاجتماعي الذي كان يعيشه الثعالبي ، ونجد ضغط النسق الثقافي المهيمن يتجلى في قول الثعالبي مصدراً للنص : ((ويُروَى لغيره))[12] فالتشكيك بنسبة النص للبديعي يحمل في طياته الخشية من السلطة ، واتقائها ، فتشويش النسبة من استراتجيات المؤلف التي اتكأ عليها في الكثير من المواضع وسترد في تفصيلات البحث .

ويعلق على نص يوسف بن محمد الجلودي : وقوله وأنا أشّك فيه : (من الكامل)

لا يصحَبَنّ ملوكنا إلاّ امرؤٌ لصٌ مغنٌ مفلس قوّاد
فله لديهم زلفةٌ ومنالةٌ ولمن تحرّج واستعفَ كساد

مـــا ذاك إلاّ انّهـــم اشـــكالهُم والقـرد يعـرف قـدْره القـرّاد[١٣]

وحـاول كـذلك تغييـب المـتن ، والخـروج عـن النسـق المهـيمن عـبر نمـاذج اختيارية عدّة شكلت أنساقاً مغايرة للأنساق المُهيمنة .

- النسق المُغاير: مما لا شك فيه أنَّ الثعالبي في يتيمته أسس لمشروع كتابي مغاير ، وتكمن المُغايرة هاته في تدوين ما مُحِيَ من منجز شعري لشعراء طالتهم الهيمنة الثقافية فأزاحتهم عن المشهد الثقافي ، فقد أجهد نفسه في إيراد ما تناثر من المدونة المزاحة ، وتتجلى الأنساق المُغايرة في نصّين هما :

١-نص الفحش . ٢- نص الفقر .

١- نص الفحش : لا يتسرب الشك إلى خلد المتأمل في ماهية الفحش وما يعنيه من خروج واضح على المواضعات الاجتماعية المبنية على رفض الجهر بالسوء من القول وما يلازمه من ملامسة واقعية للمسكوت عنه (الاجتماعي / الأخلاقي) ، الذي يعدُّ من محظورات العقل الجمعي العربي ؛ لتغذيه من المتون الدينية ، والمواضعات الأخلاقية ، التي بدأت كأنها نسقٌ ثقافيٌ مُهيمن .

لذا فإنَّ الثعالبي في يتيمته وعبر كثافة الاختيارات الشعرية ، ومساربها الدلالية ، بدا كأنّه يؤسس لنسق مُغاير ينزاح عن المألوف النسقي ، وارتبطت بعض نصوص الفحش بالنقد السياسي مثل قول ابن الحجاج في المهلبي الوزير : (من الخفيف)

قيـل إنَّ الـوزير قـد قـال شـعراً يجمـع الجهـل شملُـهُ ويعمُّـه
ثـم أخفـاه فهـو كـالهرِّ يخـرا في زوايـا البيـوت ثـم يطمُّـه
ليتني كنت حاضراً حين يرويه فأفسو في راحتي وأشمُّهْ (م)[١٤]

وكثيراً ما كان يحتفي الثعالبي بالشعراء أصحاب هذا الاتجاه خاصة إذا جاءت نصوصهم في هجاء السلطة ، مثل قول أبي محمد السلمي : (من المجتث)

رأيـــــت ملكـــــاً كـــــبيرا كـــــثير مـــــالٍ وشـــــحنه
يســـــــوس ذاك وزيـــــــرٌ قليـــــل عقـــــلٍ وفطنـــــه
وللأمـــــــــير وزيـــــــرا ن يرميـــــــان بأبنـــــــه (م)
فلعنـــــــــة الله تـــــــترى علـــــى كليـــــلٍ ودمنـــــه [١٥]

ومن هجاء السلطة قول ابن الحجاج : (من مخلع البسيط)

تهـــت علينـــا ولســـت فينـــا ولـــــي عهـــــد ولا خلـــــيفة
فتـــه وزد مـــا علـــي جـــار يقطـــع عـــني ولا وظيفـــة
ولاتقـــل لـــيس فـــي عـــيب قـــد تقـــذف الحـــرّة العفيفـــة
والشـــعر نـــار بـــلا دخـــان وللقـــوافي رقـــى لطيفـــة
كـــم مـــن ثقيـــل المحـــل ســـام هـــوت بـــه أحـــرف خفيفـــة
لـــوهجي المســـك وهـــو أهـــل لكل مدحٍ لصار جيفه [١٦]

وقوله : (من الوافر)

لنـــا شـــيخ يصـــلي مـــن قعـــود ويَـنكحُ حـين يـنكح مِـنْ قيـامِ [١٧]

ولابن الحجاج❖ طريقة شعرية فاحشة يلتبس بها الخطاب العاقل بخطاب النوْكى مثل قصيدته الهجائية التي يقول في مطلعها : (من مجزوء الكامل)

ولقـــــد عهـــــدتك تشـــــتهي قربـــي وتســـتدعي حضـــوري [١٨]

إذ نجد البنى الفاحشة تصل إلى ذروتها من خلال المزج بين المعجم الجنسي ، ومعجم القاذورات ، لكنه يدس في هذه البنى أبياتاً شعرية متوهجة الدلالة ، تحتاج إلى التأمل ؛ لتأويل بنيتها مثل قوله : (من مجزوء الكامل)

يـــا ذلَّـــة المظلـــوم أصـــبح وهـــو معـــدومُ النصـــيرِ (م)
يـــا حـــيرة الشـــيخ الأصـــمِّ وحســـرة الحَـــدَثِ الضـــريرِ (م)
يـــا خيبـــة الأمـــل الـــذي أمســـى يُعلَّـــل بـــالغرورِ (م)
يـــا وحْشَـــة المـــوْتى إذا صـــاروا إلى ظلـــم القبـــورِ
يـــا دولـــة الحـــزن الـــتي خســـفت بأيّـــام الســـرورِ (م) [١٩]

استطاع الثعالبي أنْ يمرر أنساقه المضادة / المُغايرة ، ويراوغ المتن المهيمن الثقافي عبر حشد ، وتراكم النصوص الشعرية ذات البنيات الفاحشة [٢٠]

لكننا لا نعدم ضغوط النسق الثقافي السائد الذي يتجلى بين الفينة والأخرى ، فأنساق الرقابة الاجتماعية حرمت هذا النص من التلقي ، والتداول ، ونجد الثعالبي يصرح في يتيمته عن حراجته من رواية النص الفاحش بقوله : ((ولولا إن جد الأدب جد ، وهزله هزْل ...لصنت كتابي هذا عن كثير من كلام من يمد يد المجون فيعرك بها أذن الحرم ، ويفتح جراب السخف فيصفع بها قفا العقل)) [٢١] ، وعلى الرغم من تفاعل الثعالبي مع شعر ابن الحجاج ، إذ يُعدُّ أول من دوّن هذه الأشعار ووقف عليها طويلاً في يتيمته ، فالرقابة الاجتماعية أقصت ابن الحجاج ❖❖ ؛ لأنَّ شعره يُمثل الانزياح عن النسق الثقافي المُهيمن ، لكننا لا نعدم الامتثال للنسق الثقافي ، والرضوخ للرقابة الاجتماعية ، فاغلب ظروف نظم القصائد قد تم حذفها من اليتيمة من المؤلف ، ومحا معها أسماء من قيلت بحقهم ، فلا يتعدى تقديم الثعالبي للنص سوى قوله : ومن نوادره ، وقال في الهجاء ، وكتب إليه بعض الرؤساء فأجابه ... [٢٢] ، وإذا ما رجعنا إلى ديوان ابن الحجاج المُسمى درَّة التاج من شعر ابن الحجّاج اختيار هبة الله بديع الزمان الاسْطُلابي (ت ٥٤٣ه) بتحقيق : د. علي جواد الطاهر ، لوجدنا ظروف نظم القصائد ، وأسماء الشخصيات [٢٣] .

٢-نص الفقر :

أما ذكر الفقر، والفاقة، والعوز فيمثل في بنية اليتيمة بؤرة دلالية غذت الأنساق المُغايرة ، التي تحاول زعزعة المتن المُهيمن ؛ لما يحويه من خطاب ثقافي مضمر ، خطاب الهامش الثقافي المُقوض للمركز . فإيراد نصوص الفقر ، والاحتفاء بها يمثل إشارة (بالمعنى السيميائي) ، لقناع المؤلف الذي اختَبأ خلفه لنقد الأنساق الثقافية .

ففي نص علي بن أحمد الجوهري الذي أورده الثعالبي في اليتيمة أشارة واضحة لمراوغته للمتن الثقافي ، وهو من نصوص الفقر التي لامست النقد المباشر للسلطة ، لقيامه على المفارقة الدلالية ، القائمة على الجمع بين فقر الشاعر وغنى السلطة ، ((ومن أخرى يصف فيها ضيق ذات يده ، وخراب حجرته وكثرة عياله ، ويهنئ الصاحب بن عباد ببنائه الجديد بجرجان :

(من الطويل)

أهشُّ لأنـــــواء الربيع إذا انبرت ... وأكـــره أبـــواء الربيـــع وأنْـــــكرُ

تظـــلُّ جفـــوني كُلّمـــا مـــرَّ بـــارقٌ ... تطـــول إلى خـــيط الســـماء وتقصـــر

حـذاراً على خاوي الجوانب مائل ... يـــــــكاد بأنفاســـي عليـــه يقطّـــر

لـدى عرصـاتٍ أصـبحت غرفاتهـا ... مناخـــل أمطـــارٍ تـــروح وتبكـــر

أساطـــين حكـــتها الســـنون كأنّهـــا ... قيـــامٌ تثنَّـــت للركـــوع تكبِّـــر

رثـى لـي أعـدائي بهـا وتطيَّـرت ... برؤيتهـــا العـــين الـــتي لا تطيَّـــر

يقولـــون هـــلاَّ تســـتجدَّ مرمـــة ... وحـــالي منهـــا بالمرمـــة أجـــدر

إذا كشـــف الأيـــام وجـــهَ تجمّلـــي ... وأظهـرت الحـال الـتي أنـا مضـمر

فكـــلُّ مكـــانٍ للتبـــذُّل موقـــف ... وكـــلُّ لبـــاسٍ للتَّهتُّـــكِ مَئـــزر

ثمانيـةٌ يرجـون صـوبَ قصـائدي ... علـى أنـه مـن صـوب طبعـي أنـزر

يمـدُّون أعنـاق النعـام إلى يـدي وتفـتح أفـواهُ السـباعِ وتفغـر
إذا رحت عن دار الوزير تبسَّطتْ أناملـهم نحـو النـدى تتشـمَّر
يرون خطيباً ملء بردي ومطرفي يحـدِّث عـن آلائـه ويخبِّـر
بنيـت إلى دنيـاك دنيـاً جديـدة هي الجنَّة العليا وأنت المعمِّرُ)) (٢٤)

فالنص يعكس المفارقة التي عليها المجتمع ، فالسلطة منعمة بالملذات ، والشاعر يعاني كفاف العيش ، فثنائية (الخراب / العمار) تمثل البؤرة النصية المولدة للدلالة ، وجرأة الخطاب الشعري عرَّت الوزير وافتضحته ، وهو ما تجلى في الوحدة اللسانية (فكلُّ مكانٍ للتبذُّل موقف) ، واختيار الثعالبي لهذا النص الشعري يعدُّ شكلاً من أشكال مخاتلة المتن الثقافي ؛ لتمرير نسق معارضة السلطة .

ولعل أحداً من الشعراء لم يلحق ابن سكرة الهاشمي ❖ في وصفه لفقره ، وفاقته ، بخطاب يقترب من الجرأة ، لذا تعدُّ نصوصه الشعرية من أبرز البنيات الخارجة عن نسق السلطة سواء أكان بشكواه الفقر أم بفحشه ، ونرى الثعالبي قد اختار منها ما يلائم البنى الخارجة عن الأنساق المهيمنه ، مثل قوله : (من الوافر)

وَهَنُـوا بالصِّـيَامِ فَقَلَـتْ مهـلا فـإني طُـولَ دَهْـري فِـي صِـيَامِ
وَهَـلْ فطرٍ لِمَـنْ يُمْسـي ويُضـحي يؤمَّـل فضـل أقـواتِ اللئـامِ (٢٥)

وقوله : (من مجزوء الرمل)

قيـل مـا أعـددتَ للـبرد فقـد جـاء بشـدِّهْ (م)
قلَّـتُ درَّاعـةُ عُـرْيٍ تَحْتَهَـا جُبَّـةُ رعْـدِهْ (٢٦)

وقول ابن الحجاج : (من الخفيف)

أتعشّـى بغـير خُبـزٍ ، وهـذا خـبري منـذ مـدّةٍ في غـدائي

فأنـا اليـوم مِـنْ مَلائكـة الدّولـة وَحْـدَي أحيـا بغـير غـذاءِ (م)
آيـةٌ لم تكـنْ لموسـى بـن عمـران ولا غـيره مـن الأنبيـاءِ (م)[٢٧]

وللأحنف العكبري – المُترجم له في اليتيمة – طريقة تنزاح عن طريقة الشعراء الفقراء ، إذ نجده يمزج بين الشكوى ، والتمرد على الأوضاع المزرية التي حاصرت حياته ، وحولته إلى مسخٍ اجتماعي مثل قوله : (من الوافر)

تـرى العقيـان كالـذهب المُصَـفَّى تُركّـب فـوق اثفـار الـدواب
وكيسـي منـه خلـوٌ مثـل كفـيٍّ أما هذا من العجب العجابِ [٢٨]

فحاول أنْ ينقد التفاوت الطبقي عبر الوقوف على بنية المفارقات الاجتماعية ، إذ وجد أنَّ الدواب تُزين بالحلي ، والشاعر صفر اليدين سوى من ألمه المبرح ، وهمه المزمن ، الذي جعله يعرض أمانيه ، في عوالم الوهم ، والخيال في قوله : (من البسيط)

رأيـتُ في النّـومِ دُنْيَانَـا مُزَخرفـة مِثْـل العَـرُوس تَـرَاءَتْ في المقاصـير
فَقُلْتُ : جُودِي ، فَقَالتْ:لي على عَجَل إذا تَخَلّصت مِنْ أيدي الخَنَازير[٢٩]

وقوله : (من الخفيف)

عشـتُ في ذلّـةٍ وقلّـةِ مـال واغـترابٍ في معشـرٍ أنـذال
بالأمـاني أقـولُ لا بالمعـاني فغـذائي حَلَـاوة الآمـال
لـي رزقٌ يقُـول بـالوقف بـالرّأي ورجـلٌ تقـول بـالاعتزالِ [٣٠]

وقد كان الثعالبي يعي الوظائف❖ الثقافية التي يؤديها النصان (الفحش، والفقر) ، فحاول أن يكرس الرؤية القائمة على الانزياح عن الأنساق الثقافية السائدة ، والمهيمنة ، (السياسية / الاجتماعية) ، وبما أنَّ النصّين تعرضا للإزاحة الثقافية عبر هامشية التدوين القائمة على فلسفة التغييب المتعمد للمتون الأدبية ، فقد حاول الثعالبي التأسيس لفهمٍ كتابي يخاتل الأنساق عبر

شفرات نصية تُعري الأنساق المهيمنة عبر خطابات مضمرة ، من أبرز تجلياتها كثافة النصوص الحاملة لخطابات الفقر والفحش ، فانتخابات المؤلف للنصّين والتركيز على وظائف التشكيلات الخطابية المتمثلة بـ:

١- الوظيفة التقويضية .

٢- الوظيفة التقويمية .

٣- الوظيفة المقاومة .

جعل النصّين (الفحش ، والفقر) يحملان خطابا مقوضاً للسلطة ، إذ نجده يربط بين النص الفاحش ووظيفته التقويضية لأركان السلطة في ترجمته (للحام الحرّاني) الذي أخذ على عاتقه تقويض خطاب السلطة عبر انتهاجه للنهج الشعري الفاحش : ((ولم يسلم منه أحد من أصحاب السيوف والأقلام ... فخرج الأمر السلطاني بقهره وتعنيفه و بتأديبه وعرك أديمه)) [٣١] ، فالسلطة كانت تعي الآثر الخطير الذي يؤديه النص الخارج عن النسق في تقويض أركانها .

ولا يبتعد نص الفقر عن ذلك عبر حمله للخطاب المقوّض الذي لم ينفك الثعالبي في يتيمته من إيراده بكثافة الاستشهادات من نصوص الشعراء ، وتتجلى البنية التقويضية عبر تفاهة الأشياء المُستهداة من الشعراء الفقراء ، مثل ما نجده في نص أبي نصر الهزيمي في استهدائه (التبن) : (من مجزوء الرمل)

خيْـــرُ مـــا يُهْـــدى إلى مـــرٍّ تـــــبطِ الـــــبرذون تِـــــبْنُ

واحتشـــــاميك علـــــى مـــــا بيننـــــا مـــــن الـــــودِّ غِـــــبْنُ

مـــــا بمـــــن شـــــجَّعه جـــــو دك عـــــن رفـــــدك جـــــبْنُ

أنـــت للخـــائف والمُـــــعدم إيســـــــارٌ وأمْـــــــنُ (م)

فلهـــــذا أنـــــتَ كنـــــزٌ ولهـــــذا أنـــــتَ ركـــــنُ [٣٢]

فالنص يحمل خطابا تقويضياً مضمراً ، يتمثل بتفاهة الهدية التي تدل على تفاهت السلطة ، ونجد الشاعر قد احتال في تمرير الخطاب الناسف عبر توريته في كلمة (كنز) ،التي تُحيل إلى معنيين متناقضين ، الكنز المعروف ، ومكان وضع التبن.

ويعلق الثعالبي على نص أبي نصر الهزيمي الذي يقول فيه : (من مخلّع البسيط)

لما رأيتُ الزمان نكْسا وفيه للرفعة اتضاعْ
كلُّ رئيسٍ له ملال وكلُّ رأسٍ له صداعْ
لزمت بيتي وصنت عرضا به عن الذلة امتناعْ[٣٣]

((وهو من قلائده السائرة))[٣٤] .

نسق المعاصرة

وهو من الأنساق الثقافية التي تضرب بجذورها عميقاً في الفضاءات الثقافية ، ويتولد هذا النسق من هواجس الأنا المتكررة في إزاحة الآخر ، واثبات الذات ، وهو حجاب سميك يضرب خاصة بين ((متحدي الحرفة والمهنة ، والمتنافسين في الشهرة ، والمتزاحمين على نيل الحظوة))[٣٥] وقد انتهك الثعالبي في منجزه حجاب المعاصرة بدءاً بثريا النص (العنوان) (يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر) ، وصولا إلى رواية أشعار المعاصرين له وأخبارهم ، مثل ترجمته لأبي مسعود احمد بن عثمان الخُشْنامي : ((من حسنات نيسابور وفضلائها وكلامه كثير الرونق ظريف الجملة والتفصيل))[٣٦]، وفي ترجمته لأبي الخطاب محمد بن علي الجبلي يقول : ((هو حيٌّ يُرزق وشعره عذبٌ متناسبٌ))[٣٧] ، فضلاً عن التعليقات الايجابية التي تمثل بعداً سيميائياً ؛ لانزياح المؤلف عن عقدة المعاصرة مثل تعليقه على بيت السلامي❖ الذي يقول فيه :

تبسّـــطنا علـــى الآثـــام لمّـــا رأينـــا العفـــو مـــن ثمـــر الـــذنوب

((هذا البيت من إحسانه المشهور))[٣٨] ، ولم يمنع حجاب المعاصرة الثعالبي من الاحتفاء ببديع الزمان الهمذاني ❖ ومقاماته ، على الرغم من أنَّ نصّ المقامة يُعدُّ من النصوص الإشكالية التي انزاحت بالنثر العربي إلى وجهة سردية لم يكن النثر العربي ملتفتاً إليها ، يقول الثعالبي : ((أملى أربعمائة نحلها أبا الفتح الاسكندري في الكدية وغيرها وضمنها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين ، من لفظ أنيق قريب المأخذ بعيد المرام ، وسجع رشيق المطلع والمقطع كسجع الحمام ، وجد يروق فيملك القلوب ، وهزل يشوق فيسحر العقول))[٣٩] .

فإذا تأملنا في قائمة نقاد القرن الرابع الهجري لا نجد سوى الثعالبي من المحتفين بولادة الفن المقامي ، وبدأ أكثر وعياً من غيره بسماكة حجاب المعاصرة ، الذي بدأ وكأنه نسق ثقافي يعتاش على المنجز الكتابي القائم على إزاحة الإبداع المعاصر وإبعاده عن دائرة التداول ، ويقول في ذلك : ((وقد سبق مؤلفو الكتب إلى ترتيب المتقدمين من الشعراء ... وبقيت محاسن أهل العصر التي معها رواء الحداثة ، ولذة الجدة ، وحلاوة قرب العهد ، وازدياد الجودة على كثرة النقد))[٤٠]. وبهذا تُعدُّ اليتيمة انتصاراً للآخر على حساب الذات ، الذات الكاتبة التي تروم من فعل الكتابة الشهرة ، والانتشار في الأوساط الثقافية .

المحور الثاني : النسق المُهيمن (داخل النسق)

من الراكز في عملية تفكيك البنى الثقافية أنَّ الأنساق الثقافية المهيمنة تأخذ شرعيتها من التداول والانتشار في الفضاء الثقافي ، الذي يعطيها الصلابة وعدم طواعية التشظي والانشطار ، وبهذا يعدو أي خرق لتلك الأنساق بمثابة

الوصول إلى هاوية الإبداع الثقافي ، ومن أبرز تجليات حراس الأنساق المهيمنة (الرقابة السياسية ، والاجتماعية) .

وبما أنّ الثعالبي في يتيمته حاول الخروج عن المتن الثقافي المهيمن مثل ما مرّ ، لكنه وقع تحت طائلة الأنساق الثقافية المهيمنة ، مختاراً أو مضطراً ليمرر الرؤية الثقافية التي يؤمن بها ، وإذا ما فككنا بنية اليتيمة الثقافية أمكننا أنْ نقف على انصياع المؤلف لضغط الأنساق المهيمنة عبر وقائع نصية ، وتمظهرات خطابية عدة ، أهمها :

١- نسق السلطة

٢- النسق البطريكي

١-نسق السلطة : (**غياب المؤلِف وحضور النسق**)

تَورّط الثعالبي في خطاب السلطة ، فكان حاملاً ومكرساً لنسق السلطة ؛ وذلك لدخوله إلى سوق السلطان ، ويحدثنا الجاحظ ❖ عن احتكاك المنجز الإبداعي بالسلطان ؛ كونه المنفذ الاستهلاكي الوحيد ، لتداول النصوص وتلقيها : ((السلطان سوق ، وإنما يُجلب إلى كل سوق ما يُنفَق فيها))[٤١] ، فالمنجز الكتابي يُصدَّر إلى سوق السلطان ؛ ليحظى بالقبول والانتشار ، وللسلطة اشتراطاتها النسقية التي لا يجوز للكاتب أنّ يخرقها ، أو ينسخها ، ونحن نجد أغلب كتب أبي منصور الثعالبي مُهرت للسلطة ، وأُهدت لها [٤٢] ، ويتضح نسق السلطة بأبرز صوره في إفراده أبواباً من يتيمته لأصحاب السلطة ، ويثني عليهم أوفر الثناء ، ونجده يستبيح أنْ يروي الضعيف من شعرهم في حين أنه اشترط على نفسه ألا يروي إلا لب اللباب [٤٣] ، ويعلل هذا بقوله : ((فإنّ وقع في خلال ما أكتبه البيت والبيتان مما ليس من أبيات القصائد ، ووسائط القلائد ، فأنّ الكلام معقودٌ به والمعنى لا يتمّ دونه ، أو لأنّه شعر

ملك أو أمير أو وزير أو رئيس خطير ، وإنما ينفق مثل ذلك بالانتساب إلى قائله ، لا بكثرة طائله

وخـــير الشـــعر أكرمـــه رجـــالا وشـرُّ الشـعر مـا قـال العبيـدُ))[٤٤]

فنجده يتماهى مع خطاب السلطة عبر تقديمه لملوك بني حمدان في ترجمته للشعراء ، فيبدأ بسيف الدولة الحمداني ويفصل كثيراً قي حروبه ، وغزواته[٤٥] ، ويذكر من نصوص سيف الدولة الحمداني ما لا يصل إلى حافة الشعر ، ويتراجع عن بنية النظم ، لكنه يحتفي به أيّما احتفاءٍ ، يقول : ((ومما أنشدني أبو الحسن محمد بن أحمد الإفريقي لسيف الدولة في وصف قوس قزح ، وهو أحسن ما سمعت فيه على كثرته : (من الطويل)

... يطرّزها قوس الغمام بأصفرٍ على أحمرٍ في أخضرٍ تحت مبيضٍ

وهذا من التشبيهات الملوكية التي لا يكاد يحضر مثلها السوقة))[٤٦] ، وكأنما للملوك تشبيهات انفردوا بها ؟!

ويقرّ بانسياقه لنسق السلطة عند ترجمته لعضد الدولة ❖ ((... ويقول شعراً كثيراً يخرج منه ما هو من شرط هذا الكتاب من الملح والنكت))[٤٧] ، ويصب الثعالبي مبالغاته الفارغة في وصف شعر عضد الدولة مثل قوله : ((وأما قصيدة مولانا فقد جاءت ومعها عزة الملك ، وعليها رواء الصدق ... لا غرو إذا فاض بحر العلم ، على لسان الشعر ، أنْ ينتج ما لا عين وقعت على مثله ، ولا أذن سمعت بشبهه ، لو استحق شعر أن يُعبَد لعذوبة مناهله ، وجلالة قائله ، لكانت قصيدته هي . إلا إنّي اتخذتها عند امتناع ذلك قبلة ، أوجه إليها صلوات التعظيم ، وأقف عليها طواف الإجلال والتكريم))[٤٨]،ويذكر له نصوصاً سمجة المعنى ، متهالكة المبنى ، مثل قوله :

(من السريع)

بهطـــة تعجـــز عـــن وصـــفها يـا مـدعي الأوصـاف بـالزورِ ❖

كأنّهـــــا في الجـــــام مجلـــــوّة لآلىءٌ في مـــــــاء كـــــــافورِ [٤٩]

ولعله أحسَّ بهذا التزييف الثقافي فاستدرك ذلك عبر إحالته لإخبار عضد الدولة إلى مصدر آخر غير اليتيمة : ((ثم من أراد أنْ ينظر أخبار عضد الدولة ويقف على محاسن آثاره ، فليتأمل الكتاب التاجي ، من تأليف أبي إسحاق الصابي ، لتجتمع له مع الإحاطة بها بلاغة من قد تسهل له حزونها ، ولا ينته متونها ، وأطاعته عيونها))[٥٠] .

ونجده ينصاع للنسق الرقابي (الديني / الأخلاقي) في بعض المواضع – على الرغم من أنّه كسر النسق الرقابي عند إثباته لنص الفحش – في تحرجه ، وتحفظه من رواية الأشعار ذات الطابع الخارج عن مرتكزات الدين ، يقول الثعالبي : ((حدثني أبو عبد الله بن هرمزدان الفارسي قال حدثني فلان يعني شيخاً من الفرس سماه لي ونسيت اسمه ، قال كان ببيت المقدس شاعر ماهر يُعرف بأبي سعيد العفيري يقرع باب الإلحاد وله أخ يُلقَّب رمادة من أعبد الناس وأزهدهم ، ومن الأبدال ... فبلغه عن أخيه أبي سعيد أنّه قال : (من الوافر)

هـــي الـــدّنيا ولـــيس لهـــا تنـــاه ونـــومُ القـــبر لـــيس لـــه انتبـــاه

ولـــيس يخـــرّبُ الـــدنيا الحكـــيم القـديمُ القـادرُ الأحـدُ الإلـهُ (م)

إلى شعرٍ كثير في معناهما فما زال به حتى أسمعهما إياه وما يجري مجراهما فغضب لله سبحانه وامتعض وتنمّر ولم يذق البارد حتى بات عنده ليلة وترصّد نومه وغطيطه فخنقه بيده وخرج هائماً على وجهه حتى ألمّ بمتعبده)) [٥١] ، فالرواية جاءت معتمة غير شفافة❖ عبر تنكير السند (شيخاً من الفرس سماه لي ونسيت اسمه) ، وعدم رواية الأشعار التي صدرت من الشاعر في هذا المعنى ، ونهاية الشاعر على يد أخيه كل هذا يمثل النسق الرقابي الذي خضع له الخطاب ، وبنية الخبر الذي ساقه جعل من بنية النص

الشعري خادماً لتحبيك بنية الخبر[٥٢]، مما أدى إلى هيمنة الخبر على الشعر ، انصياعاً للنسق الرقابي .

والرقابة الاجتماعية منعت الثعالبي من إيراد رسالة هزْلية لابن هندو سوى بعض الأسطر ، وهو ما تجلى في قوله : ((... لا يتسع الكتاب إلاَّ لهذا الفصل منها))[٥٣] ، ويكشف اسم الرسالة عن تحرج الثعالبي من إيرادها تامة (رسالة بين الزناة واللاطة) ، إذ وقع تحت ضغط السلطة الاجتماعية التي لا تبيح تلقي النصوص الملامسة للمسكوت عنه الأخلاقي وتداولها ، فقد اختفى صوت المؤلف وظهر صوت النسق من خلال التزام الثعالبي للصمت عند إيراد نص ابن وكيع التنيسي ❖ الذي يعارض به نص كعب بن زهير ❖❖ البردة : (من البسيط)

علِّل فؤادك والدنيا أعاليل ... لا يشغلنْك عن اللّهو الأباطيل
ولا يصدَّنْك عن أمرٍ هممت به ... من العواذل لا قالٌ ولا قيل
فخير يومك يومٌ أنت فيه إذا ... ميّزت في الناس محمودٌ ومعذول
وإن أتوْك فقالوا كُنْ خَلِيفَتنَا ... فَقُلْ لهم إنّني عن ذاك مشغولُ[٥٤]

إذ نراه يقلب معنى قصيدة كعب ويحوله إلى نظم الفحش ، وشرب الخمر والدعوى إلى التهتك .

وينساق لنسق السلطة الثقافية المهيمنة عند وقوفه على شعر المتنبي خاصة في الفصل الذي أفرده لمحاكمة نص المتنبي (دينياً) على الرغم من إيمانه المطلق بعدم رضوخ الفن للدين وهو ما يتجلى في قوله : ((على أنَّ الديانة ليست عياراً على الشعراء ، ولا سوء الاعتقاد سبباً لتأخير الشاعر))[٥٥] .

ويبدو أنّه تأثر بالأجواء الثقافية المتزمتة التي تصدّت لنصوص أبي العلاء المعري ، فلم تتعدَ ترجمته له سوى بعض الأسطر ، ومقطوعة من ثلاثة أبيات فقط ، أوردها في ذيل اليتيمة .[٥٦]

وانصاع الثعالبي كذلك إلى النسق الكتابي المُهيمن عبر اختياره النص (الخاتمة) من نصوص تتمة اليتيمة في ترجمة الصابوني فالنص المُختار يحث على الزهد ، والتقرب إلى الله ، وهو بهذا يتوافق مع أفق التلقي الكتابي ، وقد أسمى الترجمة الأخيرة بخاتمة الخاتمة : (من البسيط)

طيب الحياة لَمنْ خفّت مؤونته ولم تطبْ لذوي الأثقال والمؤن

فأرغبْ إلى الرب في تيسيره سببا تنجو به من بلايا حادث الزّمنِ (٥٧)

٢-النسق البطريكي *

انساق الثعالبي للنسق الأبوي المهيمن القائم على الرؤية النمطية للمرأة القائمة على التهميش ، والإقصاء الثقافي ، ونجد هذا في ما أورده للهمذاني (فصل من تعزية بحرمة) : ((على أنَّ النساء كالصَّدف ، إذا انتزعت منه درّة الشرف ، لم يصلح إلا للتلف ، والسعيد من حُملِ من دار الأمير نعشه ، وأسعد منه من جدد فرشه ، ولا خلة بالرجل أليق من الصبر ، ولا حصن للنساء أمنع من القبر ، أسأل الله الذي سلبه الكرمة أن يمتعه بعنبها ، ولا خير في النخلة وراء رطبها .))(٥٨) ، فالتطابق بين النص والرؤية النسقية بيّن جلي ، وتدور هذه الرؤية في كتب الثعالبي الأخرى لا سيما في كتابيه الظرائف واللطائف، و تحسين القبيح وتقبيح الحسن (٥٩)، ويختار من رسائل الصاحب بن عبّاد ما يوافق الرؤية النمطية للمرأة في فصل اختاره تحت عنوان (تهنئة ببنت) : ((أهلاً وسهلاً بعقيلة النساء، وأم الأبناء، وجالبة الأصهار، والأولاد الأطهار، والمبشرة بإخوة يتنافسون ، ونجباء يتلاحقون : (من الوافر)

فلو كانَ النِّساء كمثل هذي لفضِّلت النساء على الرجال

وما التأنيث لاسم الشمس عيب ولا التذكير فخرٌ للهلال

والله يعرفك البركة في مطلعها، والسعادة بموقعها، فادرع اغتباطاً، واستأنف نشاطاً، فالدنيا مؤنثة والرجال يخدمونها، والذكور يعبدونها،

والأرض مؤنثة ومنها خلقت البرية، وفيها كثرت الذرية، والسماء مؤنثة وقد زينت بالكواكب، وحليت بالنجم الثاقب، والنفس مؤنثة، وهي قوام الأبدان، وملاك الحيوان. والحياة مؤنثة ولولاها لم تتصرف الأجسام، ولا عرف الأنام، والجنة مؤنثة وبها وعد المتقون، وفيها ينعم المرسلون، فهنيئاً هنيئاً ما أوليت، وأوزعك الله شكر ما أعطيت، وأطال بقاءك ما عرف النسل والولد، وما بقي الأبد، وكما عمر لبد❖)) [٦٠] ، فعنوان الرسالة يحملُ بعدا ً مُنزاحا ً عن النسق الثقافي المُهيمن الذي يذوي البنت عن المتن ويُودعها الهامش ، بيد إننا سنكتشف المفارقة الدلالية عبر استهلال النص الذي ربط تمركزها الثقافي حول الرجل (الأبناء ، الأصهار ، الأولاد ، إخوة يتنافسون نجباء يتلاحقون) ، وتمنى الصاحب لوالد البنت (السعادة ، البركة) يُحيل إلى الضد الغائب (الحزن ، والنحس) ، وبالمقارنة بين المحتوى الثقافي للرسالة وتوقيع الصاحب لعلوي كتب إليه يُخبره بأنه رُزِقَ مولودا ً... فوقع في رقعته ((أسعدك الله بالفارس الجديد ، والطالع السعيد ، فقد والله ملأ العين قرة ، والنفس مسرة مستقرة ... وقد بعثت لتعويذه دينارا ً من مائة مثقال ، قصدت به مقصد الفال ...)) [٦١] تتجلى الرؤية النسقية المهيمنة القائمة على التمركز الثقافي الذكوري ، والإزاحة الأنثوية على مستوى اللغة والفعل الثقافي .

الخاتمة ونتائج البحث

بعد أن وقفنا على كتاب اليتيمة على وفق مقولة النسق الثقافي ، أمكننا أن نُثبت أهم النتائج التي توصلت إليها المُقاربة ، والتي يُمكن إدراجها بالنقاط الآتية :

- إنّ محاكمة المُنجز التراثي وفق مقولة الأنساق الثقافية تُعدُّ أكثر فاعلية في الوقوف على بنيات ثقافية مضمرة ، تحرك المنجز ضمن الخطابات الثقافية المتعددة والمتنوعة .
- كفاءة المقترب النقدي لا تتحدد إلا بدلالة النصوص المُعالجة ، فلا يمكن الخروج بنتائج أقرب للجدة ، والطرافة مع منجزٍ كتابيٍ تقليدي

- تجاذبت اليتيمة رؤيتان ثقافيتان : الأولى تدور ضمن الأنساق المُهيمنة ، والثانية تحاول التأسيس إلى منهاجية كتابية مُفارقة للأنساق ، ومؤسسة لأنساق كتابية / ثقافية مُغايرة .
- وقفت المُقاربة على تلمس الأنساق الثقافية الخارجة عن النسق المُتحكم خاصة (نسق المُعاصرة) ، الذي انزاح عنه الثعالبي ، وفارقه ، فحجاب المُعاصرة الذي يُعدُّ نسقاً ثقافياً مُتحكماً كسره المؤلف ، وأزاحه ، وقد كان الثعالبي واعياً لتأسيس نسقٍ ثقافيٍ مُغايرٍ تجلى في خطاب المقدمة بقوله : ... وقد سبق مؤلفو الكتب على ترتيب المتقدمين من الشعراء ، وذكر طبقاتهم ودرجاتهم ، والانتخاب من قصائدهم ومقطوعاتهم ... وبقيت محاسن أهل العصر التي معها رواء الحداثة ، ولذة الجدة ، وحلاوة قُرب العهد ، وازدياد الجودة على كثرة النقد ، غير محصورة بكتاب يضم نشرها ، وينظم شذرها ، ويشد أزرها ، ولا مجموعة في مصنف يُقيد شواردها ، ويخلّد فوائدها .
- اختيار الثعالبي للنصوص الشعرية لم يكن عفو الخاطر بل كان يحمل بعداً مقصدياً خاصة في نصيّ (الفحش ، والفقر) ؛ للوظائف الثقافية التي يوديها والمتمثلة بـــ:

١- الوظيفة التقويضية .
٢- الوظيفة التقويمية .
٣- الوظيفة المقاومة .

- يمثل نسق السلطة – السلطة بكل تجلياتها – من أبرز الأنساق الثقافية المُهيمنة ؛ لقدرتها على التوالد ، والتناسل ، والتشظي ، مما يحول دون انعتاق المنجز الكتابي من هيمنة تلك الأنساق ، ومفارقتها .

هوامش البحث

١- يُنظر : السَرْدُ العربيُّ القديمُ (الأنْساق الثقافية وإشكالياتُ التأويل) : د. ضياء الكعبي : ٢١، وتمثيلات الآخر (صورة السود في المتخيّل العربيّ الوسيط) : د. نادر

كاظم : ٩٢، وفي معْرفة النّصّ (دراسات في النقد الأدبي) : د. حكمت صباغ الأديب : ٣٢.

٢- يُنظر : نفسه : ٢٢.

٣- يُنظر : تمثيلات الآخر (صورة السود في المتخيّل العربيّ الوسيط) : ٩٧.

٤- يُنظر : الإسلام من وجهة نظر علم الاناسة : غيرتس ، ترجمة : أبو بكر باقادر :١١.

٥- يُنظر : تمثيلات الآخر (صورة السود في المتخيّل العربيّ الوسيط) : ٩٧.

٦- لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة : أحمد يوسف عبد الفتاح : ١٥١.

❖ فنحن نجد الأنساق تتصارع فبعد الصراع بين نسق البداوة / والحضارة ، نجد مع تطور المجتمع العربي صراعاً بين نسق الريف / والمدينة ، ومع التطورات التقنية الهائلة خاصة مع الذكاء الصناعي ستُزاح أنساق وتحل محلها أخرى .

٧- يُنظر : النقد الثقافي (قراءة في الأنساق الثقافية العربية) : عبد الله الغذامي : ٧٥.

٨-يتيمة الدهر : ٢٧/١.

٩-يُنظر : النقد الثقافي : ٨٠-٨١.

١٠-يُنظر : اليتيمة : مقدمة التحقيق : ١٠.

١١- يتيمة الدهر ٥/ ٤٢- ٤٣، ويُنظر كذلك :٤/ ١٨٠،١٥٩-١٨١، ٥/ ٨٦،

١٢ - نفسه : ٤٢/٥ ، وينظر : ٥/ ٤٣.

١٣- نفسه : ٥/ ١٤٣.

١٤- نفسه : ٤٣/٣.

١٥- نفسه : ٤/ ١٠٥.

١٦- نفسه : ٣/ ١٨ .

١٧- نفسه : ٢١/٣.

❖ابنُ الحجّاج : هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد الكاتب ، الشاعر المشهور ذو المجون والخلاعة والسخف كان فَرد زمانه في فنّه ، فإنّه لم يُسبَق إلى تلك الطريقة ، كانت وفاته سنة ٣٩١ه في بلدة النيل على الفرات . يُنظر : وفيات الأعيان : ٢/ ١٦٨، ١٧١.

١٨- نفسه : ٣/ ٤١. وأشار الثعالبي إلى طريقة ابن الحجاج هذه بقوله : ((... وأنه لم يُسبَق إلى طريقته ، ولم يُلحق شاوه في نمطه)). اليتيمة : ٣/ ٣٥.

١٩- نفسه : ٣/ ٤٠-٤٢.

٢٠-يُنظر:نفسه:٣٩٥/١،٣٩٤،٣٨٤،٣٨٣،٣٨٠،٣٧٩، /٤٥ ،٤٦ ،٤٩، ٥٠ ، ٣٤ ، ١٢٩/٤،١٠٥.

٢١- نفسه : ٣/ ٣٥ ، ويُنظر : ٥/ ٨٦.

❖❖عانى شعر ابن الحجاج قمعاً استبعادياً على طول الخط الزمني منذ الإنتاج حتى العصر الراهن ، عبر الاكراهات الاختيارية ، فالثعالبي محا النص الموازي لقصائد الشاعر ، والشريف الرضي (ت ٤٠٦ه) انتخب من شعر ابن الحجاج واسماه (النظيف من السخيف أو الحَسِن من شعر الحُسين) ، وابن نُباته (ت٧٦٨ه) انتخب من شعر ابن الحجاج وأسماه (تلطيف المزاج من شعر ابن الحجاج) ، فأغلب الاختيارات تقوم على إبعاد بعض النصوص ؛ لجرأتها ، وكسرها للحاجز الرقابي المتحكم . يُنظر : درة التاج : مقدمة التحقيق : ٥٠ .

٢٢- يُنظر : اليتيمة : ٣/ ٣٨، ٤١.

٢٣: يُنظر : درّة التاج : ٣١١، ٣١٩ ، ويُنظر : وفيات الأعيان : ٤/ ١٢.

٢٤- اليتيمة : ٤/ ٤٠-٤١.

❖ابن سكرة الهاشمي : أبو الحسن محمد بن عبد الله الهاشمي ، من أهل بغداد ، شاعر مكثر ، أكثر شعره في المجون ، وهو فائق القول في المُلح والأحماض ، توفى في بغداد ٣٨٥ه . يُنظر : وفيات الأعيان :٣٦١/٢ ، و تاريخ الأدب العربي : ٢٦٥/٢.

٢٥- اليتيمة : ١٨/٣.

٢٦- نفسه : ٢٩/٣.

٢٧- نفسه : ٣/ ٦٦، ويُنظر كذلك : ٤٩٥/٣، ١٣٥/٤، ٥/ ٣٤.

٢٨- نفسه : ١٣٩/٣ ، ويُنظر : ٣/ ٦٢.

٢٩- نفسه : ١٣٨/٣.

٣٠- نفسه : نفسها .

❖المصطلح لا يحيل إلى وظائفية بروب ، بقدر ما يدلُّ على أثر النصوص في تشكيل الخطابات المُفارِقة . للوقوف على وظائفية بروب يُنظر : المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب :د. نعمان بوقرة : ١٤٦.

٣١- اليتيمة : ١٣١/٤.

٣٢: نفسه : ١٥١/٤.

٣٣- نفسه : ١٥١/٤ .

٣٤- نفسه : ١٥١/٤ .

٣٥- المقامات والتلقي : ٧٥.

٣٦- اليتيمة : ٥/ ١٩٨.

❖السلاميّ: هو أبو الحسن محمد بن عبد الله بن محمد ، وُلِدَ سنة ٣٣٦ه في الكرْخ ، شاعر مطبوع مُحْسِن توفي سنة ٣٩٣ه . يُنظر : وفيات الأعيان : ٢/ ٣٥٧، وتاريخ الأدب العربي : ٢/ ٥٧٩-٥٨٠.

٣٧- نفسه : ٥/ ١٠٦.
٣٨- نفسه : ٢/ ٤٦٩. ويُنظر : ١/ ٣٧٩، ٥/ ١٠٦، ١٩٨.
❖بديع الزمان الهمذاني : أبو الفضل أحمد بن الحسين صاحب المقامات المشهورة ، وُلِدَ في همذان شمالي فارس ، سنة ٣٥٨ه ، وتوفى سنة ٣٨٣ه . يُنظر : معجم الأدباء : ١/ ٢٣٤-٢٥٢.
٣٩- اليتيمة : ٤/ ٢٩٤.
٤٠- نفسه : ١/ ٢٦.
٤١- رسائل الجاحظ : ٢١٣/١ ، ويُنظر : السلطة الثقافية والسلطة السياسية : ١٠٠.
٤٢- يُنظر : فقه اللغة وسر العربية : ٧،٨ ، والظرائف واللطائف واليواقيت في بعض المواقيت : ٤٨-٥٠. ونجد المصطلحات السلطانية تخترق أبواب اليتيمة عبر نسبة النصوص إلى من قيلت بهم من أصحاب السلطان مثل : قصيدة عضدية ، وقال في سلطانية ، وقال في أميرية ...يُنظر : اليتيمة : ٤٨٩/٢، ١٣٧،١٣٨،١٩٦/٥ .
٤٣- يُنظر : اليتيمة : ٢٩/١.
٤٤- نفسه : ٢٩/١.
٤٥- يُنظر : نفسه :١/ ٤٦-٥٣.
٤٦- نفسه : ٥٣/١.
❖عضد الدولة : أبو شجاع فناخُسرو المُلقّب عَضُد الدولة ابن ركن الدولة أبي علي الحسن ابن بُويَه الديلمي ، توفي ببغداد سنة ٣٧٢ه . يُنظر : وفيات الأعيان : ٤/ ٥٠، ٥٤.
٤٧- اليتيمة : ٢/ ٢٥٧.
٤٨- نفسه : ٢/ ٢٥٨.
٤٩- نفسه : ٢/ ٢٥٧. بهطة : الأرز يُطبخ باللبن والسمن .لسان العرب مادة (بهط).
٥٠- نفسه : ٢/ ٢٥٨.
٥١- اليتيمة : ٥/ ٣٦. ويُنظر : ٥/ ٤١.
❖يُنظر : الكتابة والتناسخ : ٧٠-٧١.
٥٢- للوقوف على وظيفة الشعر في فنٍّ الخبر يُنظر : الخبر في الأدب العربي : ٥٤٠-٥٦٩.
٥٣- اليتيمة : ٥/ ١٦٤.
❖ابن وكيع التنيسي : أبو محمد الحسن بن علي ، أصله من بغداد ، ومولده في تنّيس قرب دُمياط (مصر) ، شاعر بارع ظريف ، يميل إلى المجون ، كانت وفاته سنة ٣٩٣ه . يُنظر : وفيات الأعيان : ٢/ ١٠٤.

❖❖كعب بن زهير : هو كعب بن زهير بن أبي سُلمى ، صاحب القصيدة المشهورة بالبردة ، توفي نحو سنة ٢٦ه ، يُنظر : تاريخ الأدب العربي : ١/ ٢٨٣.

٥٤- اليتيمة : ١/ ٤٥١.

٥٥- نفسه : ١/ ٢١٠.

٥٦- يُنظر : نفسه : ٥/ ١٦.

٥٧- نفسه : ٣١٦/٥.

❖❖البطريكي : تعني السيطرة الذكورية على المجتمع الإنساني ، التي تمثل جزءاً من الاستراتيجيات التي تعمل على تشكيل الهويات والذوات الإنسانية . يُنظر : دليل الناقد الأدبي : ٦٣،٦٤، وللوقوف على الأبعاد الثقافية للمصطلح يُنظر : البنية البطريكية بحث في المجتمع العربي المعاصر : هشام شرابي ، مجلة فصول ،مج(١٠) ، ع(١-٢) ، أغسطس ، ١٩٩١م : ١٨٩، والنظام الأبويّ : إبراهيم الحيدري ، ٤،٥، وهشام شرابي ونقد النظام الأبويّ في المجتمع العربي : د. عبد العالي معزوز :١٥.

٥٨- اليتيمة : ٤/ ٣١٨.

٥٩- يُنظر : الظرائف واللطائف : ٢٣٩-٢٤٢، ٢٦٠، وتحسين القبيح وتقبيح الحسن : ١٣.

❖ آخرَ نسور لقمان بن عاد، وكان قد عُمِّر عُمْرَ سبعة أنسُر، وكان يأخذ فَرْخَ النسر، فيجعله في جوبة في الجبل الذي هو في أصله، فيعيش الفرخُ خمسائة سنة أو أكثر، فإذا ماتَ أَخَذَ آخرَ مكانه، حتى هلكت كلها إلا السابع أَخَذَه فوضعه في ذلك الموضع، وسماه لُبَداً، وكان أطولَهَا عُمْراً . يُنظر : مجمع الامثال : الميداني ١/ ٤٢٩.

٦٠- اليتيمة : ٢٩٠/٣. ويُنظر: نص أبي بكر العنبري الذي يتطابق مع الرؤية الذكورية : اليتيمة : ٥/ ٢٤٨.

قائمة المصادر والمراجع

١- الإسلام من وجهة نظر علم الاناسة : غيرتس ، ترجمة : أبو بكر باقادر،دار المنتخب العربي ،ط(١) ، بيروت ، ١٩٩٣م .

٢- البنية البطريكية بحث في المجتمع العربي المعاصر: هشام شرابي ، مجلة فصول ،مج(١٠) ، ع(١-٢) ، أغسطس ، ١٩٩١م .

٣- تاريخ الأدب العربي : د. عمر فرّوخ ، دار العلم للملايين ، ط(٤) ، بيروت ، ١٩٨٤م.

٤- تمثيلات الآخر (صورة السود في المتخيّل العربيّ الوسيط) : د. نادر كاظم ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط(١) ، بيروت ، ٢٠٠٤م .
٥- الخبر في الأدب العربي (دراسة في السردية العربية) : د. محمد القاضي ، دار الغرب الإسلامي ، ط(١) ، بيروت / لبنان ، ١٩٩٨م .
٦- خريدة القصر وجريدة العصر: العماد الأصفهاني الكاتب (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق : أحمد أمين ، شوقي ضيف ، إحسان عباس ، (طبعة جديدة مُصورة عن طبعة ١٩٥١) ، دار الكتب والوثائق القومية ، مركز تحقيق التراث ، القاهرة ، ٢٠٠٥م .
٧- درّة التاج من شعر أبن الحجّاج (ت٣٩١ه) ، أختيار : هبة الله بديع الزمان الأسْطُلابي، تحقيق : د. علي جواد الطاهر ، منشورات الجمل ،ط(١) ، المانيا ، بغداد ، ٢٠٠٩م .
٨- دليل الناقد الأدبي : د. ميجان الرويلي ، د. سعد البازعي ، المركز الثقافي العربي ، ط(٣) ، الدار البيضاء / المغرب ، ٢٠٠٢م .
٩- دُمية القصر وعُصرة أهل العصر : الباخرزي (ت ٤٦٧ ه) ، تحقيق : د. محمد التونجي ، ط(١) ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٣ م .
١٠- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: ابن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢هـ) ، تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٧٨م.
١١- رسائل الجاحظ (ت٢٥٥ه) : تحقيق ، عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٦٥ .
١٢- السرد العربي القديم (الأنساق الثقافية وإشكالية التأويل) : د. ضياء الكعبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط(١) ، بيروت ، ٢٠٠٧م .
١٣- السلطة الثقافية والسلطة السياسية : د. علي أومليل ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط(٣) ، بيروت / لبنان ، ٢٠١١م .
١٤- الظرائف واللطائف واليواقيت في بعض المواقيت : لأبي منصور الثعالبي (ت ٤٢٩ه) ، جمعها : الإمام أبو نصر المقدسي ، تحقيق : ناصر محمدي محمد جاد ، مراجعة وتقديم : الدكتور حسين نصار، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ، ٢٠١١م .
١٥- فقه اللغة وسرّ العربية : أبو منصور الثعالبي (ت٤٢٩هـ) ، دار التفسير ، ط(١) ، ١٤٢٦هـ.
١٦- في معْرفة النّصّ (دراسات في النقد الأدبي) : د. حكمت صباغ الأديب ، منشورات دار الأفاق الجديدة ،ط(٣)، بيروت ،١٩٨٥م .

١٧- الكتابة والتَّناسخ (مفهوم المؤلف في الثقافة العربية) : عبد الفتاح كيليطو ، ترجمة : عبد السلام بنعبد العالي ، المركز الثقافي العربي ، ط(١) ، الدار البيضاء / المغرب ، ١٩٨٥م .
١٨- لسان العرب : الإمام أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري(ت٧١١ه) ، دار صادر ، بيروت / لبنان ، ١٩٩٠.
١٩- لسانيات الخطاب وانساق الثقافة : د. احمد يوسف عبد الفتاح ، منشورات الاختلاف ، ط(١) ، الجزائر ، ٢٠١٠ م .
٢٠- مجمع الأمثال : أبو الفضل الميداني (ت٥١٨ه) ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السنة المحمدية ،١٩٥٥م .
٢١- المصطلحات الأساسية في لسانيات النصّ وتحليل الخطاب : د. نعمان بوقرة ، جدار الكتاب العالمي ، ط(١) ، عمان / الأردن ٢٠٠٩م .
٢٢- معجم الأدباء : ياقوت الحموي الرّومي (ت٦٢٦هـ) ، تحقيق : إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، ط(١) ، بيروت ـ لبنان ، ١٩٩٣م .
٢٣- المقامات والتلقي (بحث في أنماط التلقي لمقامات الهمذاني) : نادر كاظم ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط(١) ، بيروت ، ٢٠٠٣م .
٢٤- لنظام الأبويّ : إبراهيم الحيدري ، دار الساقي ، ط(١) ، بيروت / لبنان ، ٢٠١١م .
٢٥- النقد الثقافي (قراءة في الأنساق الثقافية العربية) : عبد الله الغذامي ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، ط(١) ، القاهرة ، ٢٠١٠م .
٢٦- هشام شرابي ونقد النظام الأبويّ في المجتمع العربي : د. عبد العالي معزوز ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط(١) ، بيروت ، ٢٠١٢م .
٢٧- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : لابن خلّكان (ت٦٨١ه) : تحقيق : د. إحسان عباس ، دار صادر بيروت ، لبنان ، (د.ت) .
٢٨- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر : أبو منصور الثعالبي النيسابوري (ت ٤٢٩ه)، شرح وتحقيق : الدكتور: مُفيد قميحة ، ط(١) ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان،١٩٨٣ م.